وقفات على أبواب القوافي
(الجزء الثاني)

د. محمد عبد الله سليمان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقفات على أبواب القوافي

الجزء الثاني

د. محمد عبد الله سليمان

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَبِيْتُ بِأَبْوَابِ القوافي كَأَنّما

أَصَادِي بِهَا سَرْبًا مِنَ الوَحْش نُزَّعَا

سُوَيْدُ بنُ كُراعَ

إهداء

- إلى روح والديّ:(ربّ ارحمهما كما ربّياني صغيرًا).
- إلى زوجتي وأبنائي، شكرا لتحملكم انشغالي بالكتابة والتأليف.
- إلى عشاق الأدب.
- إلى أصدقائي الأعزاء.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أضع بين يديك عزيزي القارئ الجزء الثاني من كتاب (وقفات على أبواب القوافي)، أسير فيه على ذات المنهجية التي اتبعتها في الجزء الأول، وتتمثل في اختيار بيت شعري أسلط عليه الضوء من ناحية اللغة والنحو والبلاغة ورؤية النقاد في محاولة لجمع ما قاله العلماء وأدلوا به فيما يتعلق بالبيت الشعري موضع الوقفة ما أمكن ذلك.

وهذه الوقفات مع الأبيات المختارة أحسب أنها تلبي حاجة القارئ الهاوي الذي ينشد الثقافة الأدبية والنقدية، وحاجة القارئ المتخصص في اللغة والأدب الذي ينشد التعمق فيما كُتِب عن البيت الشعري، كما أنها تخدم الباحث الذي يكتب رسالة علمية فتجمع له المادة التي كتبت عن البيت الشعري على صعيد واحد بعد أن كانت مبعثرة في عدد من بطون الكتب.

ومن ثم يبدي المؤلف رؤيته الخاصة في هذه الوقفات كلما دعت الحاجة إلى ذلك، ويكتب خلاصة يذيل بها الوقفة، ويلخص فيها ما أورده العلماء عن البيت الشعري الذي وقفنا على أبوابه.

لم يتقيد المؤلف في اختيار الأبيات الشعرية بحقبة زمنية وإنما يتوخى في ذلك ما يثيره البيت من حفيظة العلماء من أهل الاختصاص بما يكون فيه من شاهد لغوي أو نحوي أو بلاغي، أو صورة جمالية، أو لطيفة من اللطائف، أو مأخذ من المآخذ، أو وجهة نظر مخالفة لآراء العلماء الآخرين، فبقدر ما يثير البيت من حوار ونقاش بين العلماء يكون مسار اهتمامي في صلاحيته للوقوف عنده فلا نقف إلا على بيت يكون موضع اهتمام العلماء ويتيح لهم إبداء آرائهم المختلفة من خلاله.

وقد ذكرت في مقدمة الجزء الأول أن فكرة هذا الكتاب أوحى إليّ بها بيت للشاعر سويد بن كراع:

أبيت بأبواب القوافي كأنما أصادي بها سربا من الوحش نزعا

فالتقطتُ الفكرة من هذا البيت فتبلورت واختمرت في ذهني حتى رأت النور، وخرجت إلى حيز الوجود، مما جعلني أبدأ الجزء الثاني من هذه الوقفات بالبيت الذي أوحى إليّ بالفكرة، وفاء للشاعر سويد بن كراع.

وأخيرا أرجو أن يفيد القارئ مما يطرح في هذه الوقفات، وأن تكون مصدرا لثقافة شعرية وأدبية ونقدية مفيدة وممتعة.

المؤلف

الأحساء

٢٠١٨/٣/٢٦م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة التاسعة
مع سويد بن كراع

أبو رِياشٍ سُوَيْدُ بنُ كُراعَ: منْ فُرْسانِ العَرَبِ وشُعَرائِهِم، وكُرَاعُ: اسمُ أمِّهِ لا ينْصَرِفُ، واسمُ أبيهِ عَمْروٌ، وقيل: سَلَمَةُ العُكْلِيُّ [1]".

وحين هجا سويد بن كراع العكلي بعض الناس استعدوا عليه سعيد بن عثمان بن عفان، فهرب وتوارى، وفي تواريه يصور حاله وهو ينظم القصيدة، فكأن القصيدة سرب من الحيوانات الوحشية فهو يداريها ليصيد منها شيئا، ويأخذ في مراقبتها حتى يجئ وقت السحر، وهي أبيّة تعصي ولا تطاوع، بعيدة شأو لا يردها طالبها إلا بعد أن يكل ويتعب. ويربط سويد بين عملية النظم وخوف ابن عفان، فهو لا يظهر القصيدة وإنما يردها ويخضعها للتثقيف حولا كاملا وربيعا[2]:

---

[1] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء، ٤٠ج٢٢، ص ١٢٢

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧ص ٢٩.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أبيت بأبواب القوافي كأنما
أصادي بها سربا من الوحش نزعا
أكالئها حتى أعرس بعد ما
يكون سحير أو بعيد فاهجعا
عواصي إلا ما جعلت إمامها
عصا مربد تغشى نحورا وأذرعا
أهبت بغر الآبدات وراجعت
طريقا أملته القصائد مهيعا
بعيدة شأو لا يكاد يردها
لها طالب حتى يكل ويظلعا
إذا خفت أن تردى علي رددتها
وراء التراقي خشية أن تطلعا
وجشمها خوف ابن عفان ردها
فثقفتها حولا حريدا ومربعا
وقد كان في نفسي عليها زيادة

فلم أر إلا أن أطيع وأسمعا[1]

وإنما يبيت عليها لخلوه بها ومراجعته النظر فيها وقال:

أعددت للحرب التي أعنى بها

قوافيا لم أعي باجتلابها

حتى إذا أذللت من صعابها

واستوثقت لي صحت في أعقابها

فهذا كما ترى مزاولة ومطالبة واغتصاب لها ومعاناة كلفة بها [2].

وقد اهتديت لعنوان هذا الكتاب:(وقفات على أبواب القوافي)، كما أسلفت في المقدمة من بيت سويد "أبيت بأبواب القوافي" والبَابُ معروفٌ والجمعُ أَبْوَابٌ وبِيْبَانٌ فأَمَّا قولُهُ:

هتَّاكُ أَخْبِيَةٍ ولاجُ أَبْوِيَةٍ

يخْلِطُ بالجِدِّ منهُ البِرَّ واللِّيْنَا

[1] أصادي: أداري، أكالئها: أراقبها، أعرس: أنزل قبيل السحر، المربد: مناخ الإبل، حريدا: كاملا

[2] أبو الفتح عثمان ابن جني الخصائص تحقيق محمد علي النجار الناشر عالم الكتب سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ج١ ص٣٢٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإنّما قالَ أَبْوِيَةٍ لمكَانِ أَخْبِيَةٍ وزَعمَ ابنُ الأعرابي واللحيانيُّ أَنَّ أَبْوِيَةً جَمْعُ بَابٍ مِن غَير أَنْ يكونَ إِتْبَاعًا وهذا نادِرٌ لأنَّ بَابًا فَعَلٌ وفَعَلٌ لا يُكَسَّرُ على أَفْعِلَةٍ واستَعارَ سُوَيدُ بن كُرَاعَ الأَبْوَابَ للقوافي فقالَ:

أَبِيْتُ بِأَبْوَابِ القوافي كَأَنَّما

أَذُودُ بها سَرْبًا مِنَ الوَحْش نُزَّعَا

ورَجُلٌ بَوَّابٌ لازمٌ للبابِ وحِرفَتُهُ البِوَابَةُ وبَابَ للسُّلْطَانِ يَبُوبُ صَارَ لَهُ بَوَّابًا وتَبَوَّبَ بَوَّابًا اتَّخَذَهُ وقال بِشْرُ بن أَبي خازِمٍ:

فَمَن يَكُ سائِلاً عن بَيْتِ بِشْرٍ

فَإِنَّ له بجَنْبِ الرَّدْهِ بَابَا

إِنّما عَنَى بالبَيْتِ القَبْرَ ولما جَعَلَهُ بَيْتًا وكانت البُيُوتُ ذَوَات أَبوابٍ استَجازَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ بابًا والبابَةُ والبابُ في الحُدُودِ والحِسَابِ ونَحْوِه الغايَةُ[1]واسْتَعار سُوَيْد بن كراع الأَبْوابَ للقوافِي فقال:

أَبِيتُ بأَبْوابِ القَوافِي كأَنَّما

[1]أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١١ج١٠ ص ٥٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَذُودُ بها سِرْباً مِنَ الوَحْشِ نُزَّعا

والبَوَّابُ الحاجِبُ ولو اشْتُقَّ منه فِعْلٌ على فِعالةٍ لقيل بِوابةٌ بإظهار الواو ولا تُقْلَبُ ياءً لأَنه ليس بمصدر مَحْضٍ إنما هو اسم قال وأَهلُ البصرة في أَسْواقِهم يُسَمُّون السَّاقِي الذي يَطُوف عليهم بالماءِ بَيَّاباً ورجلٌ بَوّابٌ لازم للْباب وحِرْفَتُه البِوابةُ وبابَ للسلطان يَبُوبُ صار له بَوَّاباً وتَبَوَّبَ بَوَّاباً اتخذه وقال بِشْرُ بن أبي خازم:

فَمَنْ يَكُ سائلاً عن بَيْتِ بِشْرٍ

فإِنَّ له بجَنْبِ الرَّدْهِ بابا[1]

أما المِرْبَد: الخشبة أو العصا تُوضَع في باب الحَظيرة تعترض صُدورَ الإِبل فتمنعها من الخروج. كذا رُوِيَتْ عن أبي زيد. وأحسِبُ هذا غلطاً، وإِنما المِرْبَد مَحبِس النَّعَم. والخشبة هي عصا المِرْبَد. ألا ترى أنَّ الشَّاعرَ أضافَها إلى المِرْبَد، فقال سُوَيد بن كُراع:

عَوَاصِيَ إِلاّ ما جعَلْتُ وراءَها

[1] ابن منظور، لسان العرب، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي دار النشر: دار المعارف البلد: القاهرة عدد الأجزاء: ٦ج١ ٣٨٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَصَا مِرْبَدٍ تَغْشَى نُحُوراً وأذرُعا[1]

وبيت سويد الذي نحن بصدد الوقوف عنده يؤكد أن"من شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا يردد فيها نظره ويقلب فيها رأيه اتهاما لعقله وتتبعا على نفسه فيجعل عقله ذماما على رأيه ورأيه عيارا على شعره إشفاقا على أدبه وإحرازا لما خوله الله من نعمته وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات ليصير قائلها فحلا خنذيذا وشاعرا مفلقا وفي بيوت الشعر الأمثال والأوابد ومنها الشواهد ومنها الشوارد والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم الفحل الخنذيذ والخنذيذ هو التام قال الأصمعي قال رؤبة: هم الفحول الرواة ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور ولذلك قال الأول في هجاء بعض الشعراء:

يا رابع الشعراء فيم هجوتني

وزعمت أني مفحم لا أنطق

[1] أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦ج٢ص ٤٧٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فجعله سكيتا مخلفا ومسبوقا مؤخرا وسمعت بعض العلماء يقول طبقات الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وشعرور قال والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس بن حجر ومنهم ثم من بني ضبة المفوف شاعر بني حميس وهو الشويعر ولذلك قال العبدي:

ألا تنهى سراة بني حميس

شويعرها فويلية الأفاعي

قبيلة تردد حيث شاءت

كزائدة النعامة في الكراع

والشويعر أيضا صفوان بن عبد ياليل من بني سعد بن ليث ويقال إن اسمه ربيعة بن عثمان وهو الذي يقول:

فسائل جعفرا وبني أبيها

بني البرزا بطخفة والملاح

وأفلتنا أبا ليلى طفيلا

صحيح الجلد من أثر السلاح

وقد زعم ناس أن الخنذيذ من الخيل هو الخصي وكيف يكون ذلك كذلك مع قول الشاعر:

يا ليتني يا ليت لم أر مثلها

أمر قرى منها وأكثر باكيا

وأكثر خنذيذا بجر عنانه

إلى الماء لم يترك له الموت ساقيا

وقال بشر بن أبي خازم:

وخنذيذ ترى الغرمول منه

كطي الزق علقه التجار

وأبين من ذلك قول البرجمي:

وخناذيذ خصية وفحولا

ويدل على ما قلنا قول العبسي:

دعوت بني سعد إلي فشمرت

خناذيذ من سعد طوال السواعد

وكان زهير بن أبي سلمى يسمى كبار قصائده الحوليات وقد فسر سويد بن كراع العكلي ما قلنا في قوله[1]:

أبيت بأبواب القوافي كأنما

أصادي بها سربا من الوحش نزعا

وقال الحطيئة: "خير الشعر الحولي المحكك"[2]وهو القائل "والله لحسبك بي عند رغبة أو رهبة إذا رفعت إحدى رجلي علي الأخرى ثم عويت في أثر القوافي عواء الفصيل الصادي"[3]وكان الأصمعي يقول:" زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عبيد الشعر"[4] وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج أبيات القصيدة كلها مستوية في الجودة، وكان يقال لولا أن الشعر كان قد استعبدهم واستفرغ مجهودهم حتى أدخلهم في باب التكلف وأصحاب الصنعة ومن يلتمس قعر الكلام واغتصاب الألفاظ لذهبوا مذهب المطبوعين الذين تأتيهم المعاني

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ٢١٩

[2] الجاحظ، البيان التبيين، ج٢، ص١٣

[3] الأغاني –ج٢، ص ١٦٠

[4] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص٧٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سهلا ورهوا وتنثال عليهم الألفاظ انثيالا، وإنما الشعر المحمود كشعر النابغة الجعدي ورؤبة ولذلك قالوا في شعره مطرف بآلاف وخمار بواف وكان يخالف في جميع ذلك الرواة والشعراء، وكان أبو عبيدة يقول ويحكي ذلك عن يونس ومن تكسب بشعره والتمس به صلات الأشراف والقادة وجوائز الملوك والسادة في قصائد السماطين وبالطوال التي تنشد يوم الحفل لم يجد بدا من صنيع زهير والحطيئة وأشباههما وإذا قالوا في غير ذلك أخذوا عفو الكلام وتركوا المجهود ولم ترهم مع ذلك يستعملون مثل تدبيرهم في طوال القصائد وفي صنعة طوال الخطب، بل كان الكلام البائت عندهم كالمقتضب اقتدارا عليه، وثقة بحسن عادة الله عندهم فيه[1]

إن العرب ربما خاطبت الواحد بلفظ الإثنين كما قال سويد بن كراع العكلي وكان سويد هذا هجا بني عبد الله بن دارم فاستعدوا عليه سعيد بن عثمان فأراد ضربه فقال سويد قصيدة أولها:

تقول ابنه العوفى ليلى ألا ترى

إلى ابن كراع لا يزال مفزعاً

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص ج١ ٣٢٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مخافة هذين الأميرين سهدت

رقادي وغشتني بياضاً مقزعاً

فأن أنتما أحكمتاني فازجرا

أراهط تؤذيني من الناس رضعاً

وإن تزجراني بابن عفان أنزجر

وإن تدعاني أحم عرضاً ممنعاً

قال وهذا يدل على أنه خاطب اثنين سعيد بن عثمان ومن ينوب عنه أو يحضر معه. وقوله:" فإن أنتما أحكمتاني "دليل أيضاً على أنه يخاطب اثنين. قلنا البيت الأخير يروى فذا ويكثر وروده في كلامهم شاهداً على جواز مخاطبة الواحد بلفظ اثنين والصواب فيه (يا ابن عفان) بالنداء. والظاهر أن ناسخ الأصل تبع فيه من يرى حذف ألف ابن في هذه الصورة فتصحفت الياء المثناة التحتية على المصحح بباء الجر ولم ينتبه إلى إخلالها بالمعنى إذ لا خلاف في أن عفان مرادٌ بالخطاب في البيت سواء خوطب وحده أو مع من يحضر معه ويكون في الأبيات الالتفات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من الغيبة إلى الخطاب [1]. وهذا موجود عند العرب قديما، قال امرئ القيس:

قفا نبك من ذِكرى حبيبٍ ومنزل

بسِقطِ اللّوى بينَ الدَّخول فَحَوْمَلِ

قيل: خاطب صاحبيه، وقيل: بل خاطب واحدًا وأخرج الكلام مخرج الخطاب مع الاثنين؛ لأن العرب من عادتهم إجراء خطاب الاثنين على الواحد والجمع، فمن ذلك قول الشاعر سويد بن كراع العكلي: [الطويل]:

فإن تزجراني يا بن عفان أنزجر

وإن ترعياني أحم عرضًا ممنّعًا

خاطب الواحد خطاب الاثنين، وإنما فعلت العرب ذلك لأن الرجل يكون أدنى أعوانه اثنين: راعي إبله وراعي غنمه، وكذلك الرفقة أدنى ما تكون ثلاثة، فجرى خطاب الاثنين على الواحد لمرون ألسنتهم عليه، ويجوز أن يكون المراد به: قف قف، فإلحاق الألف

[1] تصحيح لسان العرب تحقيق الناشر دار الآفاق العربية سنة النشر ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م مكان النشر مصر القاهرة عدد الأجزاء ١ج١ ص٤٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمارة دالة على أن المراد تكرير اللفظ كما قال أبو عثمان المازني في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}[1]المراد منه: أرجعني أرجعني أرجعني، جعلت الواو علمًا مشعرًا بأن المعنى تكرير اللفظ مرارًا، وقيل: أراد قفن على جهة التأكيد فقلب النون ألفًا في حال الوصل؛ لأن هذه النون تقلب ألفًا في حال الوقف فحمل الوصف على الوقف، ألا ترى أنك لو وقفت على قوله تعالى: {لَنَسْفَعًا}[2] قلت: لنسفعًا؟[3]

خلاصة ما تقدم أن سويد بن كراع يبيت ساهرا على أبواب القوافي فيشبه القصيدة بسرب من الحيوانات الوحشية يداريها ليصطاد منها شيئا، ثم يحكك بعد ذلك وينقح كما يفعل شعراء الصنعة مع أشعارهم.

---

[1]سورة المؤمنون، الآية ٩٩

[2]سورة العلق، الآية١٥

[3]الزوزني شرح المعلقات السبع دراسة وتحقيق: الناشر: دار احياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢، ص ٣٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ووقفنا مع أبياته على الشواهد النحوية من مخاطبة العرب للواحد بلفظ الاثنين وتفسير ذلك، وشرحنا بعض الكلمات التي تحاج إلى شرح، ووقفنا وقفة لغوية مع جمع لفظة (باب) وما ورد عنها في معاجم اللغة، كما وقفنا على آراء النقاد حول بعض القضايا النقدية من خلال الأبيات.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة العاشرة
مع كثير عزة

أبيات قيل لكثير عزة، من قصيدة من (الطويل)، وقيل: الأبيات لابن الطثرية. [1] وهي التي استشهد بها ابن قتيبة للشعر الذي جاد لفظه وخلا من المعنى عند تقسيمه لأضرب الشعر في كتابه الشعر والشعراء قائلا:"وضربٌ منه حسن لفظه وحلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى، كقول القائل:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ

ومَسَّحَ بِالأَرْكانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ

وشُدَّتْ على حُدْبِ المَهَارِى رحَالُنَا

ولا يَنْظُرُ الغَادِي الذي هُوَ رَائحُ

أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا

وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيّ الأَبَاطِحُ

[1] عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ص ١٣٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيءٍ مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام منى، واستلمنا الأركان، وعالينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح.[1]

وقد استشهد أسامة بن منقذ، في كتابه (البديع في نقد الشعر) في باب (التضييق والتوسيع والمساواة) قائلا: "اعلم أن النقاد قالوا: ينبغي أن يكون اللفظ على قدر المعنى، ولا يكون أطول منه ولاأقصر، ولذلك قالوا: خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، فمتى كان اللفظ أكثر من المعنى كان الكلام واسعاً وضاع المعنى فيه، مثل قول بعض العرب:

ولما قضينا من منًى كلَّ حاجةٍ

ومسحَ بالأركان من هوَ ماسحُ

وفاضوا ليوم النحرِ من كلّ وجهةٍ

ولم ينظر الغادي الذي هو رائحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

[1] ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسالتْ بأعناق المطيّ الأباطحُ

ولا خلاف في أن المعنى ضائع في اللفظ، لأنه بمعنى لما حججنا رجعنا وتحدثنا في الطريق. لكن عليه حلاوة وطلاوة.[1]

ويوافق العسكري ابن قتيبة في رأيه بأنك إذا فتشت في هذه الأبيات عن المعنى لا تكاد تجد لها معنى ذا بال بقوله:" وليس تحت هذه الألفاظ كبير معنى، وهي رائقة معجبة، وإنما هي: ولمّا قضينا الحجَّ ومسحنا الأركان وشدّت رحالنَا على مهازيل الإبل ولم ينتظر بعضنا بعضاً جعلنا نتحدَّثُ وتسير بنا الإبل في بطون الأودية.وإذا كان المعنى صواباً، واللفظ بارداً وفاتراً، والفاتر شرٌّ من البارد، كان مستهجنا ملفوظا، ومذموماً مردوداً[2]

ولعبد القاهر الجرجاني رأي مطول في هذه الأبيات يختلف فيه مع من سبقوه فهو يرى أنها جميلة لفظا ومعنى، ونحسب أنه أقام الحجة النقدية على من سبقه، وتؤكد رؤيته على أن التلقي يختلف

[1] أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر،٢٦٩

[2] أبو هلال العسكري، الصناعتين، ص١١٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من ناقد إلى آخر ويمكن قراءة النص من زوايا مختلفة، فكل يتبين له أشياء في النص قد تخفى على الآخرين.

يقول عبد القاهر الجرجاني: "فانظر إلى الأشعار التي أَثنوا عليها من جهة الألفاظ، ووصفوها بالسلامة، ونسبوها إلى الدَّماثة، وقالوا: كأنَّها الماءُ جَرَياناً، والهواءُ لُطفاً، والرياضُ حُسْناً، وكأنها النَّسِيم، وكأنها الرحيق مزاجها التَّسْنِيم، وكأنها الديباج الخُسْرُوانيّ في مَرامي الأبصار، ووَشْيُ اليمَن منشوراً على أذْرُع التِّجَار، كقوله:

ولَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجةٍ

ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسحُ

وشُدَّت على دُهْم المهَارَى رِحَالُنا

ولم يَنْظُر الغادي الَّذِي هو رائحُ

أخذْنا بأطراف الأحاديث بَيْنَنا

وسَالَتْ بأعناق المطيِّ الأباطحُ

ثم راجعْ فكرتَك، واشْحَذْ بصيرتَك، وأحسِنِ التأمُّل، ودع عنك التجوُّز في الرأي، ثم انظر هل تجدُ لاستحسانهم وحَمْدهم وثَنائهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومَدحهم مُنْصَرَفاً، إلاّ إلى استعارةٍ وقعت موقعها وأصابت غَرَضها، أو حُسن ترتيب تكاملَ معه البيانُ حتى وصلَ المعنى إلى القلب مع وصول اللفظ إلى السمع، واستقرَّ في الفهم مع وقوع العبارة في الأذن، وإلا إلى سلامة الكلام من الحشو غير المفيد، والفضل الذي هو كالزيادة في التحديد، وشيءٍ داخَلَ المعاني المقصودة مداخلةَ الطفيليّ الذي يستثقل مكانهُ، والأجنبيّ الذي يُكره حُضوره، وسلامتهِ من التقصير الذي يَفْتَقِر معه السامِعُ إلى تَطَلُّب زيادةٍ بقيت في نفس المتكلم، فلم يدلَّ عليها بلفظها الخاصّ بها، واعتمد دليلَ حالٍ غير مُفْصِح، أو نيابةَ مذكورٍ ليس لتلك النيابة بمستصلح، وذلك أن أوّل ما يتلقَّاك من محاسن هذا الشعر أنه قال: "ولمَّا قضينا من مِنًى كلّ حاجة" فعبّر عن قضاء المناسك بأجمعها والخروج من فُروضِها وسُنَنِها، من طريقٍ أمكنه أن يُقصِّر معه اللفظ، وهو طريقة العموم، ثم نبّه بقوله: "ومسّح بالأركان من هو ماسحُ" على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسيرِ الذي هو مقصودة من الشعر، ثم قال: "أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا" فوصل بذكر مسح الأركان، ما وليه من زَمّ الركاب وركوب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرُّكبان، ثم دلّ بلفظة الأطراف على الصّفة التي يختصّ بها الرِّفاق في السَّفر، من التصرف في فنون القولِ وشجون الحديث، أو ما هو عادة المتظرّفين، من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء، وأنبأ بذلك عن طِيب النفوس، وقُوَّة النشاط، وفَضْلِ الاغتباط، كما تُوجبُه ألفة الأصحاب وأُنسةُ الأحباب، وكما يليق بحال من وُفِّق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب، وتنسَّمَ روائح الأحبّة والأوطان، واستماع التهاني والتَّحايا من الخلان والإخوان، ثم زانَ ذلك كلَّه باستعارة لطيفةٍ طَبَّق فيها مَفْصِل التشبيه، وأفاد كثيراً من الفوائد بلُطْف الوَحْي والتنبيه، فصرحّ أوّلاً بما أومأ إليه في الأخذ بأطراف الأحاديث، من أنهم تَنَازعوا أحاديثهم على ظهور الرَّواحل، وفي حال التوجُّه إلى المنازل، وأخبر بعد بسرعة السير، ووَطَأة الظَّهر، إذ جَعَل سلاسة سَيْرها بهم كالماء تسيل به الأباطح، وكانفي ذلك ما يؤكّد ما قبْله، لأن الظُّهور إذا كانت وَطِيئةً وكان سيرها السَّيْرَ السهلَ السريع، زاد ذلك في نشاط الرُّكبان، ومع ازدياد النشاط يزداد الحديث طِيباً، ثم قال: بأعناق المطي، ولم يقل بالمطيّ، لأن السرعة والبُطءَ يظهران غالباً في أعناقها، ويَبِين

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمرهما من هَواديها وصدورِها، وسائِرُ أجزائها تستند إليها في الحركة، وتَتبعها في الثِّقَل والخفَّة، ويُعبِّر عن المَرَح والنشاط، إذا كانا في أنفسها، بأفاعيلَ لها خاصّة في العنق والرأس، وتَدُلّ عليهما بشمائل مخصوصةٍ في المقاديم، فقل الآن: هل بقيتْ عليك حسنة تُحِيل فيها على لفظة من ألفاظها حتى إنّ فَضْلَ تلك الحسنة يبقى لتلك اللفظة لو ذُكرتْ على الانفراد، وأزيلت عن موقعها من نظم الشاعر ونسجه وتأليفه وترصيفه، وحتى تكون في ذلك كالجوهرة التي هي، وإن ازدادت حُسناً بمصاحبة أخواتها، واكتست بهاءً بمُضَامَّة أترابها، فإنها إذا جُلِيتْ للعين فَرْدةً، وتُركت في الخيط فَذَّة، لم تعدم الفضيلة الذاتية، والبهجة التي في نفسها مَطويَّة والشَّذْرةِ من الذهب تراها بصُحْبة الجواهر لها في القلادة، واكتنافها لها في عنق الغَادة، ووَصْلها بريقَ جَمرتها والتهاب جَوْهَرها، بأنوار تلك الدُّرَر التي تجاورها، ولألاء اللآلئ التي تُناظرها تزداد جمالاً في العين، ولُطْف موقِع من حقيقة الزين، ثم هي إن حُرِمت صُحبة تلك العقائل، وفَرَّقَ الدهرُ الخؤُون بينها وبين هاتيك النفائس، لم تَعْرَ من بَهْجتها الأصيلة، ولم تذهب عنها

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فضيلة الذَّهبية، كلاَّ، ليس هذا بِقياس الشعر الموصوفِ بحسن اللفظ، وإن كان لا يبعد أن يتخيّله مَنْ لا يُنعم النظر، ولا يُتمّ التدبُّر، بل حقُّ هذا المثل أن يوضع في نصرة بعض المعاني الحكمية والتشبيهية بعضاً، وازدياد الحسن منها بأن يجامِعَ شكلٌ منها شكلاً، وأن يصل الذِّكرُ بين متدانيات في ولادة العقول إياها، ومتجاوراتٍ في تنزيل الأفهام لها. واعلم أن هذه الفصول التي قدَّمتها وإن كانت قضايَا لا يكاد يخالف فيها مَنْ به طِرْقٌ، فإنه قد يُذكر الأمر المتّفَقّ عليه، ليُبنَى عليه المختلَفُ فيه، هذا وربّ وِفاقٍ من مُوافِقٍ قد بقيتْ عليه زياداتٌ أغفلَ النظرَ فيها، وضروبٌ من التلخيص والتهذيب لم يبحث عن أوائلها وثوانيها، وطريقةٌ في العبارة عن المغزى في تلك الموافقة لم يمهّدها، ودقيقةٌ في الكشف عن الحجة على مخالف لو عرض من المتكلفين لم يجدها، حتى تراه يطلق في عُرْض كلامه ما يبرزبه وِفاقاً في مَعْرِض خلاف، ويعطيك إنكاراً وقد همَ باعتراف، وربّ صديق والاك قلبهُ"[1].

[1] عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة ص ٢٦-٣١

وجاء في كتاب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة معلقا على تحليل الجرجاني قائلا: "يبين أنه ليس منه ما ذكره الشيخ عبد القاهر في شرحه، قال أول ما يتلقاك من محاسن هذا الشعر أنه قال:" ولما قضينا من منى كل حاجة"، فعبر عن قضاء جميع المناسك فرائضها وسننها بطريق العموم الذي هو أحد طرق الاختصار ثم نبه بقوله:" ومسح الأركان من هو ماسح" على طواف الوداع الذي هو آخر الأمر، ودليل المسير الذي هو مقصوده من الشعر، ثم قال:" وشدت" البيت فوصل بذكر مسح الأركان ما وليه من زم الركاب وركوب الركبان، ثم دل بلفظ الأطراف على الصفة تختص لها الرفاق في السفر من التصرف في فنون القول وشجون الحديث أو ما هو عادة المتطرفين من الإشارة والتلويح والرمز والإيماء، وأنبأ بذلك عن طيب النفوس وقوة النشاط وفصل الاغتباط كما توجبه ألفة الأصحاب وأنسة الأحباب ويليق بحال من وفق لقضاء العبادة الشريفة ورجا حسن الإياب وتنسم روائحا لأحبة والأوطان واستماع التهاني والتحايا من الخلان والإخوان، ثم زان ذلك كله باستعارة لطيفة حيث قال: وسالت

بأعناق المطي الأباطح فنبه بذلك على سرعة السير ووطاءة الظهر، وفي ذلك ما يؤكد ما قبله لأن الظهور إذا كانت وطيئة وكان سيرها سهلاً سريعاً زاد ذلك فنشاط الركبان فيزداد الحديث طيباً، ثم قال بأعناق المطي ولم يقل بالمطي لأن السرعة والبطء في سير الإبل يظهران غالباً في أعناقها ويتبين أمرها من هواديها وصدورها وسائر أجزائها تستند إليها في الحركة وتتبعها في الثقل والخفة".[1]

فإن قيل: إنا نرى من ألفاظ العرب ما قد حسنوه وزخرفوه، ولسنا نرى تحته مع ذلك معنى شريفاً، فمما جاء منه قول بعضهم:

ولما قضينا من منىً كل حاجةٍ

ومسح بالأركان من هو ماسح

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا

وسالت بأعناق المطي الأباطح

ألا ترى إلى حسن هذا اللفظ وصقالته، وتدبيج أجزائه، ومعناه مع ذلك ليس مدانياً له ولا مقارباً، فإنه إنما هو لما فرغنا من الحج

[1] جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص٢٧٤

ركبنا الطريق راجعين وتحدثنا على ظهور الإبل، ولهذا نظائر شريفة الألفاظ خسيسة المعاني.

فالجواب عن ذلك أنا نقول: هذا الموضع قد سبق إلى التشبث به من لم ينعم النظر فيه، ولا أرى ما رآه القوم، وإنما ذلك لجفاء طبع الناظر، وعدم معرفته وهو أن في قول هذا الشاعر "كل حاجة" مما يستفيد منه أهل النسيب والرقة والأهواء والمقة ما لا يستفيد غيرهم، ولا يشاركهم فيه من ليس منهم، ألا ترى أن حوائج منىً أشياء كثيرة: فمنها التلاقي، ومنها التشاكي، ومنها التخلي للاجتماع، إلى غير ذلك مما هو تالٍ له ومعقود الكون به، فكأن الشاعر صانع عن هذا الموضع الذي أومأ له وعقد غرضه عليه بقوله في آخر البيت" ومسح بالأركان من هو ماسح" أي: إنما كانت حوائجنا التي قضيناها وآرابنا التي بلغناها من هذا النحو الذي هو مسح الأركان وما هو لاحق به وجارٍ في القرية من الله مجراه: أي لمن تعد هذا القدر المذكور إلى ما يحتمله أول البيت من التعريض الجاري مجرى التصريح، وذلك أنه لو قال أخذنا في أحاديثنا أو نحو ذلك لكان فيه ما يكبره أهل النسيب، فإنه قد شاع عنهم واتسع في

محاوراتهم علو قدر الحديث بين الإلفين والجذل بجمع شمل المتواصلين[1]"

هذا الشعرُ هو استشعارُ قائِله لفرحةِ قفوله إلى بلده وسروره بالحاجة التي وصفها، من قضاء حجة وأنسه برفقائه، ومحادثتهم ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطي كما تسيل بالمياه. فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر.[2]

خلاصة ما وقفنا عليه في الأبيات السابقة أن النص قابل للتلقي من زوايا مختلفة حتى عند كبار النقاد فتختلف الأذواق والمعايير، مما ينتج عن ذلك رؤية نقدية مختلفة، فابن قتيبة يراها ألفاظا جميلة ولكن إذا فتشت عن المعنى لا تكاد تجد معنى له قيمة، مما جعله يستشهد بها على ما حلا لفظه وخلا من المعنى.

فنظر إليها عبد القاهر الجرجاني من زاوية أخرى فرأى فيها من وجهة نظره ما خفي على ابن قتيبة دون أن يشير إلى ابن قتيبة من بعيد أو قريب، وقد تحدث حديثا عاما ينم عن احترام الآخر

[1] ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص ٦٦٧

[2] ابن طباطبا، عيار الشعر، ص١٣٧

www.alukah.net

وعدم تسفيه رأيه بل يرى له قيمة وإن اختلف معه دون تجريح أو إساءة، فياليتنا نستفيد من هذه الأخلاق النقدية العالية، والروح الفنية الراقية، وقد أشار إلى معان كثيرة قيمة، ولطائف بديعة وتشبيهات نادرة، وكاتب هذه السطور يتفق مع ما ذهب إليه الجرجاني من نظرة ثاقبة وموفقة، مع تقديرنا للعالم والناقد الجليل ابن قتيبة، وما ذهب إليه من اجتهاد ورؤية نقدية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة الحادية عشرة
مع الحطيئة

قال الحطيئة:

مَن يَفْعَل الخَيْرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَه

لا يَذْهَبُ العُرْف بينَ اللهِ والناسِ

وجاء في الأثر: إن أهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة. وفي المثل: اصنع الخير ولو إلى كلب: وقال في الحث على القليل فضلاً على الكثير: قال الله جل ذكره:(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ). وقالت عائشة في حبة عنب: إن فيها لمثاقيل ذر. ولذلك قالوا في المثل: من حقر حرم. وقال سلم بن قتيبة: يستحي أحدهم من تقريب القليل من الطعام ويأبى أعظم منه. وقال: جهد المرء أكثر من عفوه. وقدم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) جهد المقل على عفو المكثر وإن كان مبلغ جهده قليلاً ومبلغ عفو المكثر كثيراً. وقالوا: لا يمنعك من معروف صغره. وقال النبي (صلى الله عليه وسلم): اتقوا النار ولو بشق تمرة. وقال: لا تحقروا اللقمة فإنها تعود

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كالجبل العظيم لقول الله جل ذكره:(يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ) وقال: لا تردوه ولو بصلة حبل [1].

وقال أبو عمرو سعيد القُطْرُبلي: ليس من بيتٍ إلا وفيه لطاعنٍ مَطْعَن، إلا قول الحطيئةُ: البسيط[2]:

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيَهُ

لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ومن أخباره: أن الزبرقان بن بدر، لقيه في سفر، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا حسبٌ موضوع، أنا أبو مليكة، فقال له الزبرقان: إني أريد وجهاً، فصر إلى منزلي، كن هناك، حتى أرجع، فصار

---

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البخلاء دار النشر: دار الكتب العلمية –لبنان / بيروت –١٤٢٢ هـ –٢٠٠١ م، تحقيق: أحمد العوامري بك –علي الجارم بك عدد الأجزاء / ٢ج٢ ص١١٠

[2] أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني زهر الآداب وثمر الألباب، دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان –١٤١٧ هـ –١٩٩٧مالطبعة: الأولى تحقيق: أ. د / يوسف على طويل عدد الأجزاء / ٢ج٢ ٤٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الحطيئة إلى امرأة الزبرقان، فأنزلته وأكرمته، فحسده بنو عمه، وهم بنو لأيٍ، فقالوا للحطيئة: إن تحولت إلينا، أعطيناك مائة ناقةٍ، ونشد إلى كل طنب من أطناب بيتك حلةً تحويه، وقالوا لامرأة الزبرقان: إن الزبرقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته، فقدح ذلك في نفسها، فلما أراد القوم النجعة، تخلف الحطيئة، فتغافلت عنه امرأة الزبرقان، فاحتمله القريعيون ووفوا له بما قالوا، فمدحهم، وهجا الزبرقان، فقال:

أزمعت يأساً مبيناً من نوالكم

ولا يرى طاردا للحر كاليأس

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

فاستعدى الزبرقان عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فحكم عمر، حسان بن ثابت، فقال حسان: ما هجاه ولكن سلح عليه، فحبس عمر الحطيئة، فقال يستعطفه:

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ

حمر الحواصل لا ماءٌ ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة

فاغفر عليك سلام الله يا عمر

ما آثروك بها إذ قدموك لها

لكن لأنفسهم كانت بك الآثر

فأخرجه عمر، وجلس على كرسي، وأخذ بيده شفرة، وأوهم أنه يريد قطع لسانه، فضج وقال: إني والله يا أمير المؤمنين قد هجوت أبي وأمي وامرأتي ونفسي، فتبسم عمر، ثم قال: ما الذي قلت؟ قال: قلت لأبي وأمي:

ولقد رأيتُكِ في النساءِ فسُؤْتِني

وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت لأبي خاصة:

فبئس الشيخ أنت لدى تميم

وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

وقلت لأمي خاصة:

تنحي واجلسي مني بعيدا

أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا استودعت سراً

وكانوناً على المتحدثينا

وقلت لامرأتي:

أطوف ما أطوف ثم آتي

إلى بيت قعيدته لكاع

وقلت لنفسي:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلماً

بسوءٍ فما أدرى لمن أنا قائله

أرى لي وجها شوه الله خلقه

فقبح من وجهٍ وقبح حامله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فخلى عمر سبيله، وأخذ عليه ألا يهجو أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف اشتري بها منه أعراض المسلمين، فقال يذكر نهيه إياه عن الهجاء ويتأسف:

وأخذت أطراف الكلام فلم تدع

شتماً يضر ولا مديحا ينفع

ومنعتني عرض البخيل فلم يخف

شتمي وأصبح آمناً لا يجزع[1]

وأخذ خالد بن عبد الله القسري قول الحطيئة: (من يفعل الخير لا يعدم جوازيه) فقال فيما أخبرنا به أبو أحمد عن الصولي عن الحسين بن فهم عن أبي معاوية والمدائني قالا خطب الناس خالد القسري على منبر الكوفة فقال: أيها الناس عليكم باصطناع المعروف فإن فاعله لا يعدم جوازيه ومهما ضعف الناس عن أدائه قوى الله على جزائه ولا يعدن أحد معروفا كان منه لم يبدله سمحا

[1] شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري نهاية الأرب في فنون الأدب . دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان –١٤٢٤ هـ –٢٠٠٤م، الطبعة: الأولى عدد الأجزاء / ٣٣تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ج٣ ص٢٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سهلا فإنكم والله لو رأيتم المعروف لرأيتموه حسنا جميلا، ولو رأيتم البخل لرأيتموه وحشا قبيحا أعاذني الله وإياكم من البخل والجبن وحرمان المعروف وكفران النعمة الموجبة لحلول النقمة [1]

وكان خالد بن عبد الله القسري يقول على المنبر: أيها الناس، عليكم بالمعروف فإن الله لا يُعْدِم فاعلَه جَوازيَه وما ضعفت الناسُ عن آدائه قَوِيَ الله على جزائه أخذه من قول الحُطيْئة:

منْ يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَهُ

لا يَذْهَبُ العُرْفُ بين الله والناس

وأخذه الحطيئة من بعض الكتب القديمة: يقول الله تعالى فيما أنزله على داود عليه السلام: من يفعل الخير يجده عندي، لا يذهب العرف بيني وبني عبدي[2]

[1] أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال، تحقيق الناشر دار الفكر سنة النشر ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م. مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١ج٢ص٣٨٣

[2] احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد تحقيق الناشر دار إحياء التراث العربي سنة النشر ١٤٢٠هـ –١٩٩٩ممكان النشر بيروت /لبنان عدد الأجزاء ٧ج١ص ١٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهم في البر مطلقاً، أي الخير غير مقيد بلون من ألوانه، عبقريات وذخائر، فمن ذلك قول الحطيئة:

مَنْ يَفْعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيَهُ

لا يَذْهَبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

جوازيه: جمع جازية اسمُ مصدرٍ للجزاء، كالعافية، أي لا يعدم جزاءً عليه قال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل العرب بيتاً قطُّ أصدق من بيت الحطيئة هذا، فقيل له: فقول طرفة بن العبد:

سَتُبْدِي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً

ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فقال: مَن يأتيك بها ممن زودت أكثر، وليس بيت مما قالته الشعراء إلا وفيه مطعن، إلا قول الحطيئة هذا. ويُروى أن كعباً الحِبْرَ –المشهور بكعب الأحبار –لما سمع هذا البيت قال: والذي نفسي بيده: إنّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة[1]

[1] عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوق الذخائر والعبقريات –معجم ثقافي جامع المؤلف: الأديب المصري (المتوفى: ١٣٦٣هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر عدد الأجزاء: ٢ج١ص٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الجزاء المكافأة على الشيء جزاه به وعليه جزاءا وجازاه مجازاة وجزاء وقد اجتزاه إذا طلب منه الجزاء قال: (يجزون بالقرض إذا ما يجتزى) وقول الحطيئة: (من يفعل الخير لا يعدم جوازيه) قال ابن جنى ظاهر هذا أن يكون جوازيه جمع جاز أي لا يعدم شاكرا عليه ويجوز أن يكون جمع جزاء أي لا يعدم جزاء عليه وجاز أن يجمع جزاء على جواز لمشابهة اسم الفاعل المصدر فكما جمع سيل على سوائل كذلك يجوز أن يكون جوازيه جمع جزاء وجزتك الجوازى عنى خيرا والجازية الجزاء اسم للمصدر كالعافية وقوله تعالى: (جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) قال ابن جني ذهب الأخفش إلى أن الباء فيها زائدة قال وتقديرها عنده جزاء سيئة مثلها وإنما استدل على هذا بقوله:(جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا) قال ابن جنى وهذا مذهب حسن واستدلال صحيح إلا أن الآية قد تحتمل مع صحة هذا القول تأويلين آخرين أحدهما أن تكون الباء مع ما بعدها هو الخبر كأنه قال جزاء سيئة كائن بمثلها"[1]

[1] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحكم والمحيط الأعظم سنة الولادة / سنة الوفاة ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا أرادوا المبالغة في وصف الشيء جاؤوا بـ (فاعل) بدل مفعول ومنه قول الحطيئة في هجاء الزّبرقان بن بدر:

دَعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبغيتِها

واقْعُدْ فإنّك أَنْت الطّاعم الكاسي

أي: المطعوم المكسّو، ومثله قولهم: "النّقد عند الحافرة"، وقيل: "النّقدُ عِنْدَ الحافِر." فمن قال: "الحافرة" فقد جعلها بمعنى الأرض التي تُحْفَرُ فيها قبورهم، فسّماها "الحافرة" والمعنى "المحفورة" لأنّ الأرض لا تَحْفِرُ، بل تُحْفَرُ، فهي "مفعوله" في معنى "فاعلة" لفظاً، كالراضية بمعنى المرضيّة، كقوله تعالى: {"فأمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ في عِيْشةٍ راضيةٍ}[1] فراضية، نعت للعيشة، "فاعلة" ها هنا بمعنى "مفعوله" ومعناه، في عيشةٍ مَرْضيةٍ، لأنّ أهلها يَرضَوْن بالعيش في دار الخلود، فالقوم راضُون العيش، مَرْضي. وقد يأتي (فاعل)، ويراد به (مفعول)، إذا أريدُ المبالغة في الوصف تقول العرب: "ما بها صَافرُ..."، أي: مَصْفُورٌ به. فقد نقل عن أبي

٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١١ج٧ ص ٤٩٩

[1] سورة القارعة، ٦-٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عبيدة (ت ٢١٠) هـ، والأصمعي (ت ٢١٦هـ) أنهّما يجعلان معناه "ما في الدّار أَحَدٌ يُصْفُربه..."، وهذا ما جاء على لفظ (فاعل)، ومعناه (مفعول به) أي: مَصْفُورٌ به[١].

بل يجئ عليه اسم الفاعل من الثلاثي وغيره نحو مرضع ومنفطر، ويجئ من أبنية مبالغة اسم الفاعل فعال وفعل، قال الخليل: وقالوا طاعم كاس على ذا: أي على النسبة: أي هو ذو كسوة وذو طعام، وهو مما يذم به، أي ليس له فضل غير أن يأكل ويلبس، قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى[٢]

واعلمْ أنك إذا سَبرتَ أحوالَ هؤلاءِ الذين زَعموا أنه إذا كان المعبَّرُ عنه واحداً والعبارةُ اثنتين ثم كانتْ إحدى العبارتين أفصحَ من الأخرى وأحسَن فإنه ينبغي أن يكونَ السببُ في كونها أفصحَ وأحسنَ اللفظَ نفسَه وجدتَهم قد قالوا ذلك من حيث قاسوا الكلامين

[١] جماليات تحول الوحدة الصرفية لدى النحاة والبلاغيين ص١٧

[٢] شرح شافية ابن الحاجب ج٢ ص ٨٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على الكلمتين. فلما رأَوا أنه إذا قيل في الكلمتين إنَّ معناهُما واحدٌ لم يكن بينهُما تفاوتٌ ولم يكن المعنى في إحداهما حالٌ لا يكون له في الأخرى ظنُّوا أن سبيلَ الكلامين هذا السبيل. ولقد غَلِطوا فأَفحشوا لأنه لا يُتَصوَّر أن تكونَ صورةُ المعنى في أَحدِ الكلامَينِ أو البيتينِ مثلَ صورته في الآخِر البتّة اللهمَّ إلاّ أن يعمدَ عامِدٌ إلى بيتٍ فيضعَ مَكانَ كُلِّ لفظة منه لفظةً في معناها ولا يعرِضُ لنظمه وتأليفه كمثلِ أن يقولَ في بيت الحُطَيْئَة –البسيط–:

دَعِ المَكارمَ لا ترحَلْ لِبُغْيتها

واقعدْ فإنَّك أنتَ الطاعمُ الكاسي

ذَرِ المفاخرَ لا تَذْهَب لِمَطْلَبِها

واجْلِسْ فإنّكَ أنتَ الآكِلُ اللابسْ

وما كان هذا سبيلَه كان بمعزلٍ من أن يكونَ به اعتدادٌ وأن يدخلَ في قبيلِ ما يُفاضَل فيه بين عبارتين بل لا يصحُّ أن يُجْعلَ ذلك عبارةً ثانية ولا أنْ يُجْعَلَ الذي يتعاطاه بمحلِّ من يوصَفُ بأنه أخذ معنى. ذلك لأنه لا يكونُ بذلك صانِعاً شيئاً يستحقُّ أن يُدعى من أجلِه واضعَ كلام ومستأنِفَ عبارة وقائِلَ شعرٍ. ذاك لأنَّ بيتَ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحطيئة لم يكنْ كلاماً وشعراً من أجل معاني الألفاظ المفردة التي تراها فيه مجرَّدةً مُعرَّاةً من معاني النظم والتأليف بل منها متوخًّى فيها ما ترى من كونِ المكارم مفعولاً لـ " دع " وكونِ قوله: " لا ترحلْ لبغيتها " جملة أكَّدت الجملةُ قبلها وكون " اقعدْ " معطوفاً بالواو على مجموعِ ما مضى وكون جملةِ " أنت الطاعِمُ الكاسي " معطوفة بالفاء على " اقعد ". فالذي يَجيء فلا يُغَيِّر شيئاً من هذا الذي به كان كلاماً وشعراً لا يكونُ قد أتى بكلام ثانٍ وعبارةٍ ثانية بل لا يكونُ قد قالَ من عند نفسه شيئاً البتّة وجملةُ الأمر أنه كما لا تكون الفِضّةُ أو الذَهَب خاتماً أو سِواراً أو غيرَهُما من أصناف الحُليّ بأنفسِهما ولكن بما يحدثُ فيهما من الصُّورة[1].

يقول المعري في رسالة الغفران: "فيذهب، عرّفه الله الغبطة في كلّ سبيل، فإذا هو ببيتٍ في أقصى الجنة، كأنَّه حفش أمةٍ راعيةٍ، وفيه رجلٌ ليس عليه نور سكّان الجنّة، وعنده شجرةٌ قميئةٌ ثمرها ليس بزاكٍ. فيقول: يا عبد الله، لقد رضيت بحقيرٍ شقنٍ. فيقول:

[1] الجرجاني دلائل الإعجاز –الكتاب: دلائل الإعجاز الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٥تحقيق: د. محمد التنجي عدد الأجزاء: ١ج١ ص ٣٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والله ما وصلت إليه إلاَّ بعد هياطٍ ومياطٍ وعرقٍ من شقاءٍ، وشفاعةٍ من قريشٍ وددت أنّها لم تكن: فيقول: من أنت؟ فيقول أنا الحطيئة العبسي فيقول: بم وصلت إلى الشّفاعة؟ فيقول بالصَّدق. فيقول: في أيِّ شيءٍ؟ فيقول: في قولي:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما

بسوء، فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوَّه الله خلقه

فقبّح من وجهٍ، وقبّح حامله

فيقول: ما بال قولك:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والنّاس

لم يغفر لك به؟ فيقول: سبقني إلى معناه الصّالحون، ونظمته ولم أعمل به، فحرمت الأجر عليه. فيقول: ما شأن الزبرقان ابن بدرٍ؟

فيقول الحطيئة: هو رئيسٌ في الدُّنيا والآخرة، انتفع بهجائي ولم ينتفع غيره بمديحي [1].

خلاصة البيت السابق يعده النقاد من أصدق الأبيات، وليس من بيت إلا وفيه مطعن – كما يقولون–إلا قول الحطيئة: (من يفعل الخير...). ويروي كعب الأحبار أن هذا البيت مذكور في التوراة. ومما فيه من شواهد أن العرب إذا أرادوا المبالغة في وصف الشيء جاؤوا بـ (فاعل) بدل (مفعول)، الطاعم الكاسي أي المطعوم المكسو.

عندما سئل الحطيئة في رسالة الغفران عن هذا البيت لماذا لم يدخله الجنة قال: نظمته ولم أعمل به فحرمت الأجر عليه.

[1] أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، ص ٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة الثانية عشرة
مع ابن الإطنابة

قال عَمرو بن الإطنابة:

وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأَتْ وَجَاشَتْ

مَكَانَك تُحْمَدِي أَو تسْتَرِيحِي

وابن الإطنابة هو عامر وقيل عمرو بن زيد مناة بن مالك ابن الأغرّ الخزرجيّ شاعر جاهليّ. والإطنابة: أمّه، والإطنابة المظلّة وهي أيضاً سير يوضع على فرض الوتر من القوس [1].

قال شمر: جَشَأَت نفسي وخَبُثَت ولَقِسَت واحد، وقال ابن شُميل: جَشأَت إِليَّ نفسي أَي خَبُثَتْ من الوَجع مما تَكْره، وتَجْشَأُ قال عَمرو بن الإطنابة:

وَقَوْلِي كُلَّما جَشَأَتْ وَجَاشَتْ

[1] عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري اللآلي في شرح أمالي القالي . دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت، لبنان –١٤١٧هـ –١٩٩٧م الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز الميمني عدد الأجزاء ٣ ج١ ص٥٧٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَكَانَك تُحْمَدِي أَو تسْتَرِيحِي

يريد: تَطلَّعَتْ ونَهضتْ جَزَعاً وكَرَاهةً. ومن سجعات الأَساس: إِذا رأَى طُرَّةً من الحَرْب نَشَأَتْ، جَاشَتْ نفْسُه وجَشَأَتْ. وفي حديث الحسن (جَشَأَتِ الرُّومُ على عَهْدِ عُمرَ) أَي نَهضَتْ وأَقبلتْ من بلادها وجشأت نفْسُه ثَارَتْ (للقيْءِ) وخبُثَت ولَقِسَتْ ومن المجاز: جَشَأَ (الليلُ والبَحْرُ) إِذا دَفَعَ و(أَظْلَمَ وأَشْرَف عَلَيْكَ) ويقال جَشَأْتِ البِحارُ بأَمواجها، والرِّياضُ برُبَاها، والبِلادُ بأَهلها: لَفظَتْهَا وقال الليث: جَشأَت (الغَنَمُ: أَخْرَجَتْ صَوْتاً من حُلُوقِها) قال امرؤُ القيس:

إِذا جَشَأَتْ سَمِعْتُ لها ثُغَاءً

كأَنَّ الحَيَّ صَبَّحَهُمْ نَعِيُّ

وجَشَأَ (القَوْمُ: خَرَجُوا من بَلَدٍ إِلى بَلَدٍ) قال العجاج:

أَحْرَاس نَاسٍ جَشَئوا وَمَلَّتِ

أَرْضاً وأَحْوَالُ الجَبانِ اهْوَلَّتِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقال: جَشَئوا إذا نَهَضوا من أَرضٍ إلى أَرضٍ. وروى شمر عن ابن الأَعرابيّ (الجَشْءُ) بفتح فسكون: الكَثيرُ والجَشءُ أَيضاً:(القَوْسُ الخَفيفةُ) وقال الليث: هي ذات الأرنان في صَوْتها، قال أَبو ذُؤَيب:

ونَمِيمَةٍ مِنْ قَانِصٍ مُتَلَبِّبٍ

في كَفِّه جَشْءٌ أَجَشُّ وَأَقْطُعُ

وقال الأَصمعي: هو القَضِيب من النَّبْع الخفيف (أَجْشَاءٌ) كفَرْخ وأَفراخٍ، على غير قياس. وصرَّح ابنُ هشامٍ بقِلَّته (وجَشَآتٌ) محركة ممدودة جمع سلامة المؤنث (والتَّجَشُّؤُ: تَنفُّسُ المَعِدَةِ) عند امتلائها (كالتَّجْشِئَةِ) قال أَبو ممد الفَقْعَسي:

لم يَتَجَشَّأْ عَنْ طَعَام يُبْشِمُهُ

وَلَمْ تَبِتْ حُمَّى بِهِ تُوَصِّمُهْ[1]

وحدثنا أبو بكر بن الأنباري قال حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي قال حدثني عبد الله بن شبيب قال حدثني عبد الرحمن بن

[1] محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء / ٤٠ج١ ص١٧٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

عبد الله الزهري قال قال معاوية: لقد وضعت رجلي في الركاب يوم صفين غير مرة فما يمنعني من الانهزام إلا أبيات ابن الإطنابة:

أبت لي عفتي وأبى بلائي

وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإعطائي على الإعدام مالي

وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت

رويدك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات

وأحمي بعد عن عرض صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو علي المشيح المبادر المنكمش ويقال بطل مشيح أي حامل وقال الأصمعي شايحت في لغة تميم وقيس حاذرت وفي لغة هذيل جددت في الأمر[1]

وقوله: فجاشت... الخ جاشت: ارتفعت من فزع. وهذا ليس لكونه جباناً بل هذا بيان حال النفس. ونفس الجبان والشجاع سواءٌ فيما يدهمها عند الوهلة الأولى ثم يختلفان: فالجبان يركب نفرته والشجاع يدفعها فيثبت. قال أبو عبيدة: قال عبد الملك بن مروان: وجدت فرسان العرب ستة نفر: ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ثم صبروا وثلاثة لم يجزعوا. قال عمرو: فجاشت إلى النفس أول مرةٍ البيت وقال ابن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

فأخبر هؤلاء الثلاثة أنهم هابوا ثم أقدموا. وقال عامر بن الطفيل:

---

[1] أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي الأمالي في لغة العرب تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣*٢ج١ ٢٦٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أقول لنفسٍ ما أريد بقاءها

أقلي المراح إنني غير مدبر

وقال قيس بن الخطيم:

وإني في الحرب الضروس موكلٌ

بإقدام نفيسٍ ما أريد بقاءها

وقال العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا أبالي

أحتفي كان فيها أم سواها

فأخبر هؤلاء أنهم لم يجزعوا. الفاء زائدة وجاشت: جواب لما عند الكوفيين والأخفش. وعند البصريين للعطف والجواب محذوف يقدر بعد قوله: فاستقرت أي: طاعنت أو أبليت. والقرينة عليه قوله: علام تقول الرمح . . البيت كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نشأ من أبي تمام فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته. لكن كان على الشارح مراجعة الأصل. والجواب هو البيت الثالث[1]

وجَشَأتْ نفسي جُشُوءاً، إذا نهضت إليك نفسُك. قال عمرو بن الإطنابة:

وقَولي كلّما جَشَأتْ وجاشَتْ

رُويدَكِ تُحْمَدي أو تستريحي

والجَشْء: القوس التي يملأ عِجْسُها كفَّ الرامي. وقال آخرون: بل الخفيفة العُود. وقد جَئِيَ الفرسُ يَجأَجُؤْوَةً، والجُؤوة: حُمرة في سواد، ومنه كتيبة جَأْواء للون صَدَأ الحديد. والجِثة، والجمع جِأىً، وأكثر العرب لا يهمزها، وهي جِفار واسعة. ويقال: جَأَرَ الثورُ يجأَر جُؤاراً[2].

[1] عبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق محمد نبيل طريفي/إميل بديع اليعقوب الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٩٩٨ممكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١٣ج٢ ص٣٨٨

[2] جمهرة اللغة تحقيق رمزي منير بعلبكي الناشر دار العلم للملايين سنة النشر ١٩٨٧م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ ج٢ ص١٠٩٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اعلم أن العرب قد سمت الفعل بأسماء، لما سنذكره. وذلك على ضربين: أحدهما في الأمر والنهي، والآخر في الخبر. لأول منهما نحو قولهم: صه، فهذا اسم اسكت ومه فهذا: أكفف، ودونك اسم خذ. وكذلك عندك ووراءك اسم تنح، ومكانك اسم اثبت. قال:

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

فجوابه بالجزم دليل على أنه كأنه قال: اثبتي تحمدي أو تستريحي. وكذلك قول الله جل اسمه {مكانكم أنتم وشركاؤكم} فـ(أنتم) توكيد للضمير في (مكانكم) كقولك: اثبتوا أنتم وشركاؤكم، وعطف على ذلك الضمير بعد أن وكده (الشركاء). ويؤكد ذلك عندك قول بعضهم: مكانكني فإلحاقه النون كما تلحق النون نفس الفعل في (أكرمني) ونحوه دليل على قوة شبهه بالفعل. ونحوه قولهم أيضا: كما أنتنى كقولك: انتظرني.[1]

وأنشد أبو عليّ قول ابن الإطنابة في حديث معاوية:

[1] أبو الفتح عثمان ابن جني الخصائص تحقيق محمد علي النجار الناشر عالم الكتب سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ج٢ ص٣٥

أبت لي عفّتي وأبى بلائي

وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وفيه:

وقولي كلّما جشأت وجاشت

مكانّك تحمدي أو تستريحي

وروى غير واحد: وقولي كلّما جشأت لنفسي وهو أحسن من وجهين أحدهما: أن جشأت وجاشت بمعنى واحد معناهما الارتفاع، والثاني رجوع الضمير على مذكور. وروى ابن داحة وابن دأب معاً في هذا الحديث بعد قوله: فما تمنعني إلا أبيات ابن الإطنابة وإنشادها. قال فقلت: الله لتحامينّ عن الشاة والبعير ولأفرّنّ عن الملك فصبرت حتى آل الأمر إلى ما آل إليه. ومن هذا البيت أخذ قطريّ بن الفجاءة قوله:

أقول لها وقد طارت شعاعاً

من الأبطال ويحك لا تراعي

فإنّك لو سألت بقاء يوم

على الأجل الذي لك لم تطاعي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله: جاشت النفس يقول: خبثت، يكون ذلك من تذكرها للتهوع ومن جزعها منه.

ويروى عن معاوية أنه قال: اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم؛ فإن فيه مآثر أسلافكم ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار، فما يردني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفتي وأبي بلائي

وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإجشامي على المكروه نفسي

وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

يقال: جشأت مهموز، وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه[1].

[1] المبرد الكامل في اللغة والأدب ج١ ص٣٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من أشعار المقتصدين في الشعر ومن أشعار المقتصدين في الشِّعر أنشدني قطرب:

تركْت الرِّكابَ لأربابها فأجْهَـ

ـدْتُ نفسي على ابن الصَّعِقْ

جَعَلْتُ يديَّ وِشاحاً له

وبعضُ الفوارِس لا يعتنق

وممن صدق على نفسه عمرو بن الإطنابة حيثُ يقول:

وإقْدامي على المكْروهِ نَفْسي

وضرْبي هامَة البطلِ المشِيحِ

وقولي كُلَّما جَشأتْ وجَاشَتْ

مَكانَكِ تُجْمَدي أوْ تَسْتريحي

وقل آخر:

وقلتُ لِنفسي إنّما هو عامرٌ

فَلا ترهَبيه وانظُري كيف يركبُ

وقال عَمرو بن مَعْدِ يكرب:

ولّما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنَّها

جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَّتِ

فجاشَتْ إليّ النَّفْسُ أوَّل مَرَّةٍ

فَرُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاسْتقَرَّتِ

وقال الطّائيُّ:

ركضتْ فِينا وفِيهمْ ساعةً

لَهذْميَّاتٌ وبيضٌ كالشُّهُبْ

تروا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا

غمراتِ الموتِ واختارُوا الهَربْ

وقال النّمر بنُ تولب:

سَمَوْنا ليشْكُر يَوْمَ النِّهابِ

نهزُّ قناً سَمْهريّاً طِوالاَ

فلمّا التقينا وكان الْجلادُ

أحَبّوا الحياة فولَّوْا شِلالا

وكما قال الآخر:

هُم المقْدِمُون الْخيلَ تَدْمى نُحورُها

إذا ابيضَّ من هَوْل الطِّعان المسالحُ

وقال عنترة:

إذْ يتَّقون بي الأسنِّةَ لم أخِمْ

عنْها ولكني تضايقَ مُقْدمي

وقال قَطريُّ بن الفُجاءة:

وقولي كلّما جشأتْ لنفسي

من الأبطالِ ويْحكِ لا تُراعي

فإنّكِ لوْ سألتِ حياةَ يومٍ

سوى الأجلِ الذي لكِ لم تُطاعي

وقالت الخنْساء:

يُهِينُ النُّفوس وهَوْن النفوس

غداة الكريهةِ أبقى لها

وقال جرير:

إن طارَدُوا الخيل لم يُشْوُوا فوارِسها أو

نازلوا عانَقُوا الأبطال فاهتصروا

وقال ابن مقروم الضّبيّ:

وإذا تُعلَّل بالسِّياطِ جيادُها

أعطاك ثائبةً ولم يَتَعَلَّل

فدعوا نَزالِ فكنتُ أوّل نازلٍ

وعلامَ أرْكبهُ إذا لم أنزلِ

وقال كعب الأشقري:

إليهم وفيه منتهى الحزم والندى

وللكربِ فيهم والخصاصةِ فاسحُ

ترى علقاً تغشى النقوش رشاشه

إذا انفرجت من بعدهنّ الجوانح

كأن القنا الخطىَّ فينا وفيهم

أشاطينُ بئرٍ هيجتها المواتحُ

هناك قذفنا بالرماح فمائلٌ

هنالك في جمع الفريقين رانحُ

ودرنا كما دارتْ على قطبها الرحى

ودارت على هامِ الرجال الصفائح [1]

جاشت: ارتفعت من فزع. وهذا ليس لكونه جباناً بل هذا بيان حال النفس. ونفس الجبان والشجاع سواءٌ فيما يدهمها عند الوهلة الأولى ثم يختلفان: فالجبان يركب نفرته والشجاع يدفعها فيثبت. قال أبو عبيدة: قال عبد الملك بن مروان: وجدت فرسان العرب ستة نفر: ثلاثة منهم جزعوا من الموت عند اللقاء ثم صبروا وثلاثة لم يجزعوا. قال عمرو: فجاشت إلى النفس أول مرةٍ البيت وقال ابن الإطنابة:

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

فأخبر هؤلاء الثلاثة أنهم هابوا ثم أقدموا. وقال عامر بن الطفيل:

أقول لنفسٍ ما أريد بقاءها

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل سنة النشر ١٤١٦هـ -١٩٩٦ممكان النشر لبنان/ بيروت عدد الأجزاء ٨ ج٦ ص ٤٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أقلي المراح إنني غير مدبر

وقال قيس بن الخطيم:

وإني في الحرب الضروس موكلٌ

بإقدام نفيسٍ ما أريد بقاءها

وقال العباس بن مرداس:

أشد على الكتيبة لا أبالي

أحتفي كان فيها أم سواها

فأخبر هؤلاء انهم لم يجزعوا. الفاء زائدة وجاشت: جواب لما عند الكوفيين والأخفش. وعند البصريين للعطف والجواب محذوف يقدر بعد قوله: فاستقرت أي: طاعنت أو أبليت. والقرينة عليه قوله: علام تقول الرمح. البيت كذا قال شراح الحماسة وهذا تعسف نشأ من أبي تمام فإنه حذف بيت الجواب اختصاراً كعادته. لكن كان على الشارح مراجعة الأصل. والجواب هو البيت الثالث"[1]

[1] عبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق محمد نبيل طريفي/إميل بديع ليعقوب الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٩٩٨م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١٣ج٢ص٣٨٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جشأ تجشأ لقمان من غير شبع مثل فيمن يتحلى بغير ما هو فيه وتقول ما بك إلا الغداء والعشاء والكظة والجشاء وجشأت نفسه من شدة الفزع والغم إذا نهضت إليه وارتفعت قال عمرو بن الإطنابة:

أقول لها إذا جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

وتقول إذا رأى طرة من الحرب نشأت جاشت نفسه وجشأت ومن المجاز جشأت الأرض أخرجت جميع نباتها كما يقال قاءت الأرض أكلها وجشأت الرياض برياها وجشأت البلاد بأهلها لفظتها وجشأت علينا النعم طرأت وجشأ البحر بأمواجه [1]

قال حمزة وحدثني أبو بكر بن شقير قال حدثني أب وعبيدة قال حدثني الأصمعي قال أخبرني خلف الأحمر أن عوانة بن الحكم روى أن عبد الملك بن مروان سأل يوما عن أشجع العرب شعرا فقيل عمرو بن معد يكرب فقال كيف وهو الذي يقول فجاشت إلي النفس أول مرة وردت على مكروهها فاستقرت قالوا فعمرو بن

[1] أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري أساس البلاغة الناشر دار الفكر سنة النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩معدد الأجزاء ١ج١ ص٩٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإطنابة فقال كيف وهو الذي يقول وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي قالوا فعامر بن الطفيل قال كيف وهو الذي يقول أقول لنفسي لا يجاد بمثلها أقلي مراحا إنني غير مدبر قالوا فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين قال أربعة: عباس بن مرداس السلمي، وقيس بن الخطيم الأوسي، وعنترة بن شداد العبسي، ورجل من بني مزينة أما عباس فلقوله:

أشـــــد علـــــى الكتيبـــــة لا أبـــــالي

أفيهـــــا كـــــان حتفـــــي أم ســـــواها

وأما قيس بن الخطيم فلقوله:

وإنـــي لـــدى الحـــرب العـــوان موكـــل

بتقـــــديم نفـــــس لا أريـــــد بقاهـــــا

وأما عنترة بن شداد فلقوله:

إذ تتقـــون بـــي الأســـنة لـــم أخـــم

عنهـــا ولكنـــي تضـــايق مقـــدمي

وأما المزني فلقوله:

دعـــوت بنـــي قحافـــة فاســـتجابوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقلـــــت ردوا فقـــــد طـــــاب الـــــورود[1]

فانتقل من الخطاب التجريدي إلى خطاب النفس ولو استمر على الحالة الأولى لما قضي عليه بالتوسع وإنما كان يقضي عليه بالتجريد البليغ الذي هو الطرف الآخر ويتأول له بأن عرضه من خطاب غيره أن ينفي عن نفسه سمعة الهوى ومعرة العشق لما في ذلك من الشهرة والغضاضة لكن قد زال هذا التأويل بانتقاله عن التجريد أولا إلى خطاب النفس وعلى هذا الأسلوب ورد قول أبي الطيب المتنبي:

لاَ خَيْلَ عِنْدَكَ تُهْدِيهَا وَلاَ مَالُ

فَلْيُسْعِدِ النُّطْقَ إِنْ لَمْ تُسْعِدِ الْحَالُ

وَاجْزِ الأَمِيرَ الَّذِي نُعْمَاهُ فاجِئَةٌ

بِغَيْرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى الْقَوْمِ أَقْوَالُ

[1] أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري مجمع الأمثال تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر دار المعرفة سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٢ج٢ ص٨٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وهذان البيتان من مطلع قصيدة يمدح بها فاتكا الإخشيدي بمصر وكان وصله بصلة سنية من نفقة وكسوة قبل أن يمدحه ثم مدحه بعد ذلك بهذه القصيدة وهي من غرر شعره وقد بنى مطلعها على المعنى المشار إليه من ابتداء فاتك إياه بالصلة قبل المديح وليس في التجريد المذكور في هذين البيتين ما يدل على وصف النفس ولا على تزكيتها بالمديح كما ورد في الأبيات الرائية المتقدم ذكرها وإنما هو توسع لا غير وأما القسم الثاني وهو غير المحض فإنه خطاب لنفسك لا لغيرك ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد لعلاقة أحدهما بالآخر وبين هذا القسم والذي قبله فرق ظاهر وذاك أولى بأن يسمى تجريدا لأن التجريد لائق به وهذا هو نصف تجريد لأنك لم تجرد به عن نفسك شيئا وإنما خاطبت نفسك بنفسك كأنك فصلتها عنك وهي منك فمما جاء منه قول عمرو بن الإطنابة:

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ جَشَأَتْ وَجَاشَتْ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رُوَيْدَكِ تُحْمَدِي أَوْ تسْتَرِيحِي [1]

ومن أحكام اسم الفعل أنه لا يتأخر عن معموله فلا يجوز في عليك زيدا بمعنى ألزم زيدا أن يقال زيدا عليك خلافا للكسائي فإنه أجازه محتجا عليه بقوله تعالى كتاب الله عليكم زاعما ان معناه عليكم كتاب الله أي الزموه وعند البصريين أن كتاب الله مصدر محذوف العامل و عليكم جار ومجرور متعلق به أو بالعامل المقدر والتقدير كتب الله ذلك كتابا عليكم ودل على ذلك المقدر قوله تعالى حرمت عليكم لأن التحريم يستلزم الكتابة ومن أحكامه انه إذا كان دالا على الطلب جاز جزم المضارع في جوابه تقول نزال نحدثك بالجزم كما تقول أنزل نحدثك وقال الشاعر:

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

[1] ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر المحقق: أحمد الحوفي + بدوي طبانة، دار النشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر البلد: العجالة . القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: ٤ج٢ ص١٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمكانك في الأصل ظرف مكان ثم نقل عن ذلك المعنى وجعل اسما للفعل ومعناه اثبتي وقوله تحمدي مضارع مجزوم في جوابه وعلامة جزمه حذف النون[1].

وألحق الكسائي في جواز النصب بالأمر ما دل على معناه؛ من اسم فعل؛ نحو: "نَزَالِ فنكرمَك"، أو خبر نحو: "حسبك حديث فينامَ الناس" ولا خلاف في جواز الجزم بعدهما إذا سقطت الفاء؛ كقوله: [الوافر] مكانك تحمدي أو تستريحي[2].

شرط الجزم بعد الأمر بتقدير إن تفعل، كما أن شرطه بعد النهي بتقدير إلا تفعل فيمتنع الجزم في نحو: "أَحْسِن إليّ لا أحسن إليك" فإنه لا يجوز: "إِنْ تُحسنْ إليّ لا أحسن إليك" لكونه غير مناسب، وكلام التسهيل يوهم إجراء خلاف الكسائي فيه.

والأمرُ إِنْ كَانَ بِغَيْرِ افْعَلْ فَلا

---

[1] أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري شرح قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر سنة النشر ١٣٨٣مكان النشر القاهرة عدد الأجزاء ١ج١ ص٢٥٩

[2] جمال الدين عبد الله الأنصاري أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَنْصِبْ جَوَابَهُ وجَزْمَهُ اقْبَلا

إذا دل على الأمر بخبر بفعل ماض أو مضارع أو باسم فعل أو باسم غيره جاز جزم الجواب اتفاقا، كقولهم: "اتقي الله امرؤٌ فَعَلَ خيرا يُثَبْ عليه"، وقوله تعالى: {تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، يَغْفِرْ لَكُمْ}[1]، وقول الشاعر: مكانَكِ تُحْمَدِي أو تَسْتريحي[2]

خلاصة لما سبق فإننا شرحنا المفردات التي وردت في البيت السابق ووقفنا طويلا عند كلمة(جشأت) واستجلينا معناها من المعاجم اللغوية، ثم وقفنا عند إعراب البيت والشواهد النحوية التي وردت فيه.

ووقفنا على المضمون المتمثل في حض النفس على الثبات في المعارك وأوقات الشدة (مكانك تحمدي أو تستريحي).

---

[1] سورة الصف، الآية ١١

[2] أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر الناشر: دار الفكر العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ –٢٠٠٨معدد الأجزاء: ٣ ج٣ ص١٢٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأن البيت كان دافعا للمقاتلين في الثبات في المعارك بعد أن تحدثهم أنفسهم بالفرار من ميدان المعركة فيستأنسون به، ومن هؤلاء معاوية بن أبي سفيان القائل:" فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار، فما يردني إلا قول ابن الإطنابة الأنصاري:

أبت لي عفتي وأبي بلائي

وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإجشامي على المكروه نفسي

وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت

مكانك تحمدي أو تستريحي

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة عشرة
مع جرير

وأمدح شعره قوله[1]:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

لما مدح جرير بن الخطفي الحجاج بن يوسف بشعره الذي يقول فيه:

من سد مطلع النفاق عليكم

أم من يصول كصولة الحجاج

أم من يغار على النساء حفيظة

إذ لا يثقن بغيرة الأزواج

وقوله:

دعا الحجاج مثل دعاء نوح

فأسمع ذا المعارج فاستجابا

[1] أبو منصور الثعالبي، الايجاز والاعجاز ص ١٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال له الحجاج: إن الطاقة تعجز عن المكافأة، ولكني موفدك على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان، فسر إليه بكتابي هذا. فسار إليه، ثم استأذنه في الإنشاد، فأذن له، فقال: أتصحو بل فؤادك غير صاحي قال له عبد الملك: بل فؤادك. فلما انتهى إلى قوله:

تعزت أم حزرة ثم قالت

رأيت الواردين ذوي امتياح

ثقي بالله ليس له شريك

ومن عند الخليفة بالنجاح

سأشكر إن رددت إلي ريشي

وأثبت القوادم في جناحي

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

ارتاح عبد الملك وكان متكئاً، فاستوى جالساً، ثم قال: من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت؛ ثم قال له: يا جرير، أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم كلب؟ قال: إذا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله. فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب كلها سود

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحدقة؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنها أباق ونحن مشايخ، وليس بأحدنا فضل عن راحلته؛ فلو أمرت بالرعاء؛ فأمر له بثمانية من الرعاء. وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضة يقرعها بقضيب في يده؛ فقال له جرير: والمحلب يا أمير المؤمنين، وأشار إلى صحفة منها، فنبذها إليه بالقضيب وقال: خذها لا نفعتك. ففي ذلك يقول جرير:

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية

ما في عطائهم من ولا شرف[1]

ألف الاستفهام تدخل في الكلام لمعان تكون استفهاما محضا كقولك أزيد عندك أم عمرو وتكون تقريرا وتوبيخا فالتقرير قولك ألست كريما ألم أحسن إليك كقوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ) [2] قال جرير – الوافر:

ألستم خير من ركب المطايا

---

[1] ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ص٦٥٨

[2] سورة يس، الآية ٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأندى العالمين بطون راح [1]

أغَرّكِ مني أنّ حبّكِ قاتِلي

وَأنّكِ مهما تأمري القلبَ يَفْعَلِ

يقول: قد غرك مني كون حبك قاتلي وكون قلبي منقادًا لك بحيث مهما أمرته بشيء فعله. وألف الاستفهام دخلت على هذا القول للتقرير لا للاستفهام والاستخبار، ومنه قول جرير: [الوافر]:

ألستم خيرَ من ركب المطايا

وأندى العالمين بطونَ راحِ

ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير ألا ترى أن التقرير ضرب من الخبر، وذلك ضد الاستفهام. ويدل على أنه قد فارق الاستفهام امتناع النصب بالفاء في جوابه، والجزم بغير الفاء (في جوابه) ألا تراك لا تقول: ألست صاحبنا فنكرمك كما تقول لست صاحبنا فنكرمك. ولا تقول في التقرير: أأنت في الجيش أثبت اسمك كما تقول في الاستفهام الصريح: أأنت في الجيش أثبت اسمك كما تقول: ما اسمك أذكرك أي إن أعرفه أذكرك. ولأجل ما

[1] الزجاجي، حروف المعاني، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٨٤ج١ص١٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذكرنا من حديث همزة التقرير ما صارت تنقل النفي إلى الإثبات، والإثبات إلى النفي وذلك كقوله:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح

أي (أنتم كذاكم) وكقول الله –عز وجل – {آلله أذن لكم } و { أأنت قلت للناس } أي لم يأذن لكم، ولم تقل للناس: أتخذوني وأمي إلهين، ولو كانت استفهاما محضا لأقرت الإثبات على إثباته، والنفي على نفيه . فإذا دخلت على الموجب نفته، (وإذا دخلت على النفي نفته) و (نفي النفي عائد) به إلى الإثبات. ولذلك لم يجيزوا ما زال زيد إلا قائما لما آل به المعنى (من النفي) إلى: ثبت زيد إلا قائما. فكما لا يقال هذا فكذلك لا يقال ذلك. فاعرف هو يدل على صحة معنى التناكر في همزة التقرير أنها قد أخلصت للإنكار في نحو قولهم في جواب قوله ضربت عمر: أعمراه ومررت بإبراهيم: أإبراهيماه. ورأيت جعفرا:(أجعفرنيه، وأجعفراإنيه). وهذا واضح [1]

[1] ابن جني، الخصائص، عالم الكتب، ص٦٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نصب البطون على التمييز وألستم تقرير أخرج مخرج الاستفهام[1].

وأما ألف التحقيق والإيجاب نحو قول الرجل للرجل أأنت فعلت كذا وكذا أأنت قلت كذا وكذا وقد علم أنه قد فعل فهو كأنه يستجيزه أن يخبر عنه بمعنى إنه قد وجب عليه ذلك ومنه قول الله تبارك وتعالى تخبيرا عن ملائكته حين قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها) معناهم فيها معنى الإيجاب أي ستجعل والله جل وعز لا يستخبر ومنه قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا

وأندى العالمين بطون راح [2]

خلاصة: البيت السابق مدح به جرير عبد الملك بن مروان وهو في غمرة الاستماع إلى القصيدة طرب طربا شديد وكان متكئا فاستوى جالسا وقال: "من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت" وأمر له بمائة ناقة من الجياد.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو،١٩٩٥، ص٧٥

[2] المرجع السابق، ص٢٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ووقفنا عند ألف الاستفهام في البيت(ألستم)فهي للتقرير لا للاستفهام والاستخبار.

كما بينا وجه الإعراب في نصبه (بطون) فقد نصبها على التمييز.

الوقفة الرابعة عشرة
العباس بن الأحنف

قال الشاعر:

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي

فقلت ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعلي إلى من قد هويت أطير؟[1]

"هذان البيتان للعباس بن الأحنف، أحد الشعراء المولدين، وقد جاء بهما الشارح تمثيلا لا استشهادا، كما يفعل المحقق الرضي ذلك كثيرا، يمثل بشعر المتنبي والبحتري وأبي تمام، وقيل: قائلهما مجنون ليلى، وهو ممن يستشهد بشعره، وقد وجدت بيت الشاهد ثابتا في كل ديوان من الديوانين: ديوان المجنون، وديوان العباس، وذلك من خلط الرواة.

اللغة: " السرب " جماعة الظباء والقطا ونحوهما، و" القطا "

ضرب من الطير قريب الشبه من الحمام " جدير " لائق وحقيق " هويت " بكسر الواو –أي أحببت.

الإعراب: " بكيت " فعل وفاعل " على سرب " جار ومجرور متعلق ببكيت، وسرب مضاف و "القطا " مضاف إليه " إذ " ظرف زمان متعلق ببكيت مبني على السكون في محل نصب "مررن " فعل وفاعل، والجملة في محل جر بإضافة إذ إليها، أي بكيت وقت مرورهن بي " بي " جار ومجرور متعلق بمر " فقلت " فعل وفاعل " ومثلي " الواو للحال، مثل: مبتدأ، ومثل مضاف وياء المتكلم مضاف إليه " بالبكاء " جار ومجرور متعلق بقوله جدير الآتي " جدير " خبر المبتدأ " أسرب " الهمزة حرف نداء، وسرب: منادى منصوب بالفتحة الظاهرة، وسرب مضاف، و" القطا " مضاف إليه "هل " استفهامية " من " اسم موصول مبتدأ " يعير " فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود إلى من، والجملة من يعير وفاعله في محل رفع خبر المبتدأ، هكذا قالوا، وعندي أن جملة " يعير جناحه " لا محل لها من الاعراب صلة الموصول الذي هو من، وأما خبر المبتدأ فمحذوف، وتقدير

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الكلام: هل الذي يعير جناحه موجود " جناحه " جناح: مفعول به ليعير، وجناح مضاف والضمير مضاف إليه " لعلي " لعل: حرف ترج ونصب، والياء ضمير المتكلم اسمها " إلى " حرف جر " من " اسم موصول مبني على السكون في محل جر بـ (إلى)، والجار والمجرور متعلق بقوله أطير الآتي " قد " حرف تحقيق " هويت " فعل ماض وفاعله، والجملة لا محل لها صلة الموصول، والعائد محذوف، والتقدير: إلى الذي قد هويته " أطير " فعل مضارع، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا، والجملة في محل رفع خبر " لعل."[1]

الشاهد فيه: قوله " أسرب القطا " وقوله " من يعير جناحه " والنداء معناه طلب إقبال من تناديه عليك، ولا يتصور أن تطلب الإقبال إلا من العاقل الذي يفهم الطلب ويفهم الإقبال، أو الذي تجعله بمنزلة من يفهم الطلب ويفهم الإقبال، فلما تقدم بندائه استساغ أن يطلق عليه اللفظ الذي لا يستعمل إلا في العقلاء بحسب وضعه، وقد تمادى في معاملته معاملة ذوي العقل،

[1] شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، ص١٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فاستفهم منه طالبا أن يعيره جناحه، والاستفهام وطلب الإعارة إنما يتصور توجيههما إلى العقلاء. وجه الاستشهاد: مجيء "لعل" متصلة بـ "ياء المتكلم" مع اقترانها بنون الوقاية، وحكم هذا الاقتران القلة؛ لأن الأشهر حذف نون الوقاية مع "لعل"، والقرآن الكريم نطق بالحذف وحده، كما في الآيات التالية: {لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ}، وقوله تعالى: {لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُون}، وقوله جل شأنه: {إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَس}. وكذا في الشعر، فالأشهر حذف النون، كقول العباس بن الأحنف:

أسرب القطا هل من يعير جناحه

لعلي إلى من قد هويت أطير

و"من" بالعكس فأكثر ما تستعمل في العاقل وقد تستعمل في غيره، كقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ} ومنه قول الشاعر:

بكيت على سرب القطا إذ مررن بي

فقلت ومثلي بالبكاء جدير

أسرب القطا هل من يعير جناحه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لعلي إلى من قد هويت أطير؟[1]

فأما (من) فإنها تكون للعالم، نحو {وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ}[2] ولغيره في ثلاث مسائل: إحداها: أن ينزل منزلته نحو {مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ}[3](أسرب القطا هل من يعير جناحه) (ألا عم صباحا أيها الطلل البالي % وهل يعمن من كان في العصر الخالي) فدعاء الأصنام ونداء القطا والطلل سوغ ذلك.

الثانية: أن يجتمع مع العاقل فيما وقعت عليه (من) نحو {كَمَنْ لَا يَخْلُقُ}[4] لشموله الآدميين والملائكة والأصنام، ونحو (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ)[5] ونحو (مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ)[6] فإنه يشمل الآدمي والطائر. الثالثة: أن يقترن به في

---

[1] المصدر السابق، ج١، ص١٤٩
[2] سورة الرعد، الآية ٤٣
[3] سورة الأحقاف، الآية،٥
[4] سورة النحل، الآية، ١٧
[5] سورة الحج، الآية، ١٨
[6] سورة النور، الآية،٤٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عموم فصل بمن، نحو (مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ)[1] و (مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ)[2] لاقترانهما بالعاقل في عموم (كل دابة).

وأما (ما) فإنها لما لا يعقل وحده، نحو (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ) وله مع العاقل نحو (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ولأنواع من يعقل، نحو (فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ) وللمبهم أمره كقولك وقد رأيت شبحا: (انظر إلى ما ظهر) والأربعة الباقية للعاقل وغيره فأما (أي) فخالف في موصوليتها ثعلب، ولا تضاف لنكرة خلافا لابن عصفور، ولا يعمل فيها إلا مستقبل متقدم"[3]

ومن الأخطاء الشائعة في قراءة هذه الأبيات قراءة كلمة (هويت) بفتح الواو والصحيح بكسرها قال أبو عبيد عن الأصمعيّ: هَوَيتُ أَهْوِي هُوِيًّا، إذا سقطتَ من عُلْوٍ إلى أسفل[1][هَوِيَ] فلانٌ فلانًا – أَحبَّه، فهو هَوٍ وهي هَوِيَةٌ.[1]

---

[1] سورة النور، الآية،٤٥
[2] سورة النور، الآية،٤٥
[3] شرح بن عقيل على ألفية بن مالك، ج١، ص ١٥٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

خلاصة: وقفنا مع الأبيات السابقة وقفات لغوية، ثم إعرابية، كما وقفنا على الشواهد النحوية التي وردت فيها، والخطأ الشائع في قراءة كلمة (هويت) بفتح الواو والصحيح بكسرها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١١ج١٠.

٢. أبو الفتح عثمان بن جني الخصائص تحقيق محمد علي النجار الناشر عالم الكتب سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ج١.

٣. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا معجم مقاييس اللغة المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦ج٢.

٤. ابن منظور، لسان العرب، المحقق: عبد الله علي الكبير + محمد أحمد حسب الله + هاشم محمد الشاذلي دار النشر: دار المعارف البلد: القاهرة عدد الأجزاء: ٦ج١.

٥. ابن قتيبة، الشعر والشعراء.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦. أسامة بن منقذ، البديع في نقد الشعر.
٧. أبو هلال العسكري، الصناعتين.
٨. ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر
٩. [1]ابن طباطبا، عيار الشعر.
١٠. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البخلاء دار النشر: دار الكتب العلمية –لبنان / بيروت –١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م، تحقيق: أحمد العوامري بك –علي الجارم بك عدد الأجزاء / ٢ج٢.
١١. أبو هلال العسكري جمهرة الأمثال، تحقيق الناشر دار الفكر سنة النشر ١٤٠٨هـ –١٩٨٨م. مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١ج٢.
١٢. أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني زهر الآداب وثمر الألباب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان –١٤١٧ هـ –١٩٩٧مالطبعة: الأولى تحقيق: أ. د / يوسف على طويل عدد الأجزاء / ٢ج٢
١٣. أبو العلاء المعري رسالة الغفران.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الحيوان تحقيق عبد السلام محمد هارون الناشر دار الجيل سنة النشر ١٤١٦هـ -١٩٩٦ممكان النشر لبنان/ بيروت عدد الأجزاء ٨ ج٦.

١٥. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي المحكم والمحيط الأعظم سنة الولادة / سنة الوفاة ٤٥٨هـ تحقيق عبد الحميد هنداوي الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ٢٠٠٠م مكان النشر بيروت.

١٦. أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي الأمالي في لغة العرب تحقيق الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ممكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣*٢ج١ ٢٦٢.

١٧. أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري أساس البلاغة الناشر دار الفكر سنة النشر ١٣٩٩هـ ١٩٧٩معدد الأجزاء ١ج١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨. أبو الفتح عثمان ابن جني الخصائص تحقيق محمد علي النجار الناشر عالم الكتب سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ج٢.

١٩. أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري مجمع الأمثال تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر دار المعرفة سنة النشر مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٢ج٢.

٢٠. أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصار يشرح قطر الندى وبل الصدى تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر سنة النشر ١٣٨٣مكان النشر القاهرة عدد الأجزاء ١ج١.

٢١. [1]أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر الناشر: دار

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفكر العربي الطبعة: الأولى ١٤٢٨هـ -٢٠٠٨معدد الأجزاء: ٣ ج٣.

٢٢. أبو منصور الثعالبي، الايجاز والاعجاز.

٢٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج١، دار إحياء التراث العربي سنة النشر ١٤٢٠هـ -١٩٩٩ممكان النشر بيروت /لبنان عدد الأجزاء ٧ج١.

٢٤. [1]إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، عمان، دار الشروق، ١٩٩٧.

٢٥. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد

٢٦. الجاحظ، البيان والتبيين، ج١.

٢٧. جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة.

٢٨. الجرجاني دلائل الإعجاز -الكتاب: دلائل الإعجاز الناشر: دار الكتاب العربي -بيروت الطبعة الأولى، ١٩٩٥تحقيق: د. محمد التنجي عدد الأجزاء: ١ج.١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٩. جمال الدين عبد الله الأنصاري أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٠. الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو،١٩٩٥

٣١. رمزي منير بعلبكي، جمهرة اللغة تحقيق الناشر دار العلم للملايين سنة النشر ١٩٨٧ممكان النشر بيروت عدد الأجزاء ٣ ج٢.

٣٢. الزجاجي، حروف المعاني، مؤسسة الرسالة –بيروت ١٩٨٤ج١.

٣٣. الزوزني شرح المعلقات السبع دراسة وتحقيق: الناشر: دار احياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢.

٣٤. شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري نهاية الأرب في فنون الأدب . موافق للمطبوع دار النشر: دار الكتب العلمية –بيروت / لبنان –١٤٢٤ هـ –٢٠٠٤م،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطبعة: الأولى عدد الأجزاء / ٣٣تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ج٣.

٣٥. ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ويليه كتاب الفلك الدائر على المثل السائر المحقق: أحمد الحوفي + بدوي طبانة دار النشر: دار نهضة مصر للطبع والنشر البلد: العجالة . القاهرة الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: ٤ج٢.

٣٦. عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص

٣٧. عبد القاهر الجرجاني أسرار البلاغة

٣٨. عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن سيد بن أحمد البرقوق الذخائر والعبقريات –معجم ثقافي جامع المؤلف: الأديب المصري (المتوفى: ١٣٦٣هـ) الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

٣٩. عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري اللآلي في شرح أمالي القالي . دار النشر: دار الكتب العلمية –

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بيروت، لبنان -١٤١٧هـ -١٩٩٧م الطبعة: الأولى، تحقيق: عبد العزيز الميمني عدد الأجزاء ٣ ج١.

٤٠. عبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق محمد نبيل طريفي/إميل بديع اليعقوب الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٩٩٨م مكان النشر بيروت عدد الأجزاء ١٣ج٢.

٤١. عبد القادر بن عمر البغدادي خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق محمد نبيل طريفي/إميل بديع ليعقوب الناشر دار الكتب العلمية سنة النشر ١٩٩٨ممكان النشر بيروت.

٤٢. كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري حياة الحيوان الكبرى دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان -١٤٢٤ هـ -٢٠٠٣ م الطبعة: الثانية تحقيق: أحمد حسن.

٤٣. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تاج العروس من جواهر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القاموس المؤلف: تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء، ٤٠ج٢٢.

٤٤. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين الناشر دار الهداية عدد الأجزاء / ٤٠ج١.

٤٥. محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي الكتاب: تاج العروس من جواهر القاموس.

٤٦. المبرد الكامل في اللغة والأدب ج١.

الفهرس

الموضوع الصفحة
الإهداء..... ٤
المقدمة..... ٥
الوقفة التاسعة مع سويد بن كراع..... ٨
الوقفة العاشرة مع كثير عزة..... ٢٢
الوقفة الحادية عشرة مع الحطيئة..... ٣٥
الوقفة الثانية عشرة مع ابن الإطنابة..... ٥٠
الوقفة الثالثة عشرة مع جرير..... ٧٤
الوقفة الرابعة عشرة مع العباس بن الأحنف..... ٨١
المراجع والمصادر..... ٨٨
الفهرس..... ٩٧
الكاتب في سطور..... ٩٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المؤلف في سطور:

- ولد في السودان، بمدينة المسعودية، ١٩٦٤م.
- ثلاثون عاماً خبرة في مجال التعليم في عدد من الدول العربية.
- أستاذ مشارك، تخصص الأدب الحديث ونقده. ٢٠١٣/١/١
- كلية التربية جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم بالسودان٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- كلية اللغة العربية، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم.٢٠٠٩-٢٠١٥
- كلية الآداب، جامعة الملك فيصل، بالمملكة العربية السعودية٢٠١٥.
- أستاذ الدراسات العليا بالجامعتين.
- عمل أستاذاً زائرا بجامعة الجزيرة بالسودان.
- عميد مكلف كلية اللغة العربية٢٠١٠.
- رئيس قسم الأدب والنقد والبلاغة٢٠٠٩-٢٠١٥.
- مؤسس ورئيس تحرير مجلة كلية اللغة العربية المحكمة٢٠١٢-٢٠١٥.
- عضو مجلس جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم٢٠١٤.
- له عدة مؤلفات منها:

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- مشكل مصطلحي الحديث والمعاصر في الأدب العربي
- وقفات على أبواب القوافي –الجزء الأول.
- الشعر العربي – رؤية تأصيلية
- ذكريات الهجرة الأولى.
- معايير نقد الشعر عند الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- وكتب أخرى تحت الطباعة.
- له العشرات من البحوث العلمية المنشورة في المجلات العلمية المحكمة.
- له الكثير من المقالات المنشورة في الصحافة السودانية، والمجلات العالمية المتخصصة في اللغة العربية.
- أشرف على الكثير من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- شارك في العديد من المؤتمرات والندوات العلمية العالمية.

هذا الكتاب منشور في